دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الأديب ناصر خسرو : الفيلسوف الحائر والمفكر السياسى
المصدر:	مجلة كلية اللغات والترجمة
الناشر:	جامعة الازهر - كلية اللغات والترجمة
المؤلف الرئيسي:	الخولى، محمد معروف
المجلد/العدد:	ع7
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الشهر:	يوليو
الصفحات:	46 - 74
رقم MD:	752863
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	خسرو، ناصر، الأدباء العرب، الفلسفة السياسية، النظم السياسية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/752863

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الأديب ناصر خسرو

الفيلسوف الحائر والمفكر السياسي

إعداد

د. محمد معروف الخولي

مدرس اللغويات شعبة اللغة الفارسية بقسم اللغات الشرقية

كلية الآداب جامعة قناة السويس بالإسماعيلية

مقدمة

كانت الحياة السياسية في الجزء الشرقي من الدولة الإسلامية، إيران والعراق والشام مضطربة أشد الاضطراب في القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس الهجري فإن دولًا كثيرة اقتسمت الحكم فيه وانتهى أمر الخليفة السني في بغداد بأن سيطر عليه وعلى عاصمته أحمد البويهي (٣٣٤هـ-٩٤٥م) وهكذا أصبح السلطان الشيعي حاميًا للخليفة السني[١] وكان الخليفة الفاطمي الثاني الذي استقر في القاهرة منذ سنة ٣٦٢هـ ق/ ٩٧٢م ينتهز فرصة ضعف منافسة فيبعث دعاته يدعون السامانيين والبويهيين للقضاء على الخلافة العباسية والاعتراف به خليفة شرعيًا على المسلمين، فنجحت الدعوة في خراسان إلى حد ما، ودخل السلطان الساماني في الدعوة الفاطمية ولكن الأمير نوح، ابن السلطان نجح في خلع أبيه ثم حشد قوى الدولة جميعها للقضاء على الدعوة الفاطمية وآثر مقاتلة رجالها على محاربة الكفار من الترك وأفلح في القضاء على نشاط الخليفة الفاطمي ودعاته فيما وراء النهر وخراسان، وإن كانت دعوتهم استمرت سرية فيما بعد، وكان أمر الدعوة الفاطمية في العراق أشد قوة. ذلك أن الدولة البويهية نفسها دولة شيعية، وقد أثمر نشاط الفاطميين في إقليم فارس خاصة أيما إثمار وكان موسى بن أبي عمران حجة

[١] مير خواند: روضة الصفا تهران ١٣٩٩هش، ج٤، ص١٤٩.

فيها[١]. في هذا الجو المضطرب سياسيًا ودينيًا نشأ ناصر خسرو فقد ولد في قباديان عام ٣٩٤هـ (١٠٠٣م)[٢] في أسرة لها شانها[٣].

تتعلق أهداف البحث بالمنهج الذي يتبعه الباحث في خطة دراسته وهو المنهج التحليلي النقدي الذي يعتمد على الاستقصاء والتتبع، فقد قام الباحث بتقسيم البحث إلى عدة عناصر كالتالي: مقدمة: وهي تتحدث عن الحقبة التي وجد فيها ناصر خسرو، التعريف بناصر خسرو وفراره من بلخ، ناصر خسرو في "يمكان" حيرته بين المذهب الشيعي والسني، إنتاج ناصر الأديب والفيلسوف وأسلوبه، الخاصية الرئيسة لشعره، أنماط تأثر ناصر خسرو باللغة العربية من خلال النصوص الدينية وقد الباحث بتقسيمها إلى خمس أنماط: النمط الأول: الأثر اللفظي، النمط الثاني: الأثر التعبيري عن طريق الاقتباس والتضمين والتحليل، النمط الثالث: التأثر بالشرح والتفسير من خلال الترجمة والتفسير، النمط الرابع: التأثر عن طريق الاستلهام، النمط الخامس: التأثر بالصور والأخيلة.

أولا: التعريف بناصر خسرو:

١- من هو؟ :هو ناصر خسرو بن حارث القبادياني البلخي المروزي الملقب والمتخلص ب"حجة" وكنيته "أبو معين" من الشعراء الموهوبين وأحد شعراء القصيدة الكبار في اللغة الفارسية

---

[١] يحي الخشاب (دكتور) سفر نامة –رحلة ناصر خسرو- مطبوعات البنك العربي الدولي للمعلومات، بدون تاريخ، ص٥ وما بعدها، انظر أيضًا: سياست نامة، ص١٩٢-١٩٣

[٢] سفرنامة (ترجمة د يحي الخشاب) ص٩

[٣] محمود بشيري (دكتر) برسي افكار سياسي –انتقادي ناصر خسرو قبادياني، مجلة دانشكده ادبيات فارسي وزبانهاي خارجي- دانشگاه علامة طباطبايي تهران، شماره سوم- سال دوم، بهار ١٣٧٧ هجري شمسي ص١٦٥، نقلًا عن: سفر نامة ناصر خسرو قبادياني، به كوشش محمد دبير سياقي، تهران، زوار ١٣٥٦، ص١

ولد ناصر خسرو عام ٣٩٤هـ. ق، الموافق شهر تير أو مرداد عام ٣٢٨هـ. ش، وقد ولد في قباديان من نواحي بلخ في أسرة عظيمة ذات نفوذ كانت تعمل على ما يبدو في المجال الحكومي والديوان. ويعد أحد شعراء القصيدة البارزين، وأحد الكتاب في القرن الخامس الهجري[١]، قام منذ بداية شبابه بتحصيل العلم والأدب وتبحر تقريبًا في كل العلوم العقلية والنقلية المتداولة في عصره وخاصة العلوم اليونانية. مثل هندسة إقليدس والطب والموسيقى وخصوصًا علم الحساب والنجوم والفلسفة وكذلك علم الكلام والحكمة [٢]، ويشير ناصر خسرو في أشعاره وسفرنامه وسائر كتبه تكرارًا ومرارًا إلى إحاطته بهذه العلوم كما يشير إلى مكانته العظيمة: يقول ما ترجمته:

لم يبق من أنواع العلم، ما لم أستفد منه، قل أو كثر.

وفي شبابه أيضًا شق طريقه إلى بلاط السلاطين والأمراء ووصل إلى أعلى المراتب، وكما ذكر في سفر نامه أنه تقرب لبعض الملوك مثل السلطان محمود الغزنوى، وكان حتى الثالثة والأربعين من عمره –حيث عزم على السفر– يؤدي خدمات ديوانية مهمة وبعض الأعمال الحكومية الأخرى، (ومما يقال في هذا الشأن أن ناصر خسرو في بداية الأمر كان صاحب نفوذ في بلخ التي كانت العاصمة الشتوية للغزنويين وبعد أن سقطت هذه المدينة في أيدي السلاجقة ازداد نفوذه، وبعد سيطرة السلاجقة على بلخ، سافر عام ٤٣٢ إلى مرو التي كانت مقر حكم "أبو سليمان جعفري بيك داود بن ميكائيل"، وفي النهاية تغير الحال وتوجه (ناحية الكعبة) وعمومًا بعد أن أمضى ناصر خسرو مدة من عمره في تحصيل العلوم المتداولة في عصره وفي خدمة الأمراء والملوك في ذلك

(١) جلال الدين همايي: تاريخ ادبيات إيران، مؤسسة نشر هما، جاب أول، تهران ١٣٧٥ش، ص١١٦

(٢) رضا زاده شفق : تاريخ الادب الفارسى ترجمة : محمد موسى هنداوى دار الفكر العربى القاهرة ١٩٤٧م ص٨٠

العصر وتحقيق الجاه وجمع المال وأحيانًا اللهو واللعب، تغير حاله ورغب في معرفة الحقيقة (المذهب الحق) ولأنه لم يشم من آراء أهل الظاهر رائحة الحقيقة، هام على وجهه، في النهاية وعلى أثر الحلم الذي رآه في شهر جمادى الآخر عام ٤٣٧هـ في "جوزجانان" اعتزم الرحلة إلى القبلة. في هذه الرحلة اصطحب أخاه الأصغر "أبا سعيد" وغلامًا هنديا. استغرقت هذه السفرة سبع سنوات (٤٣٧-٤٤٤هـ) وخلالها زار ناصر خسرو بيت الله أربع مرات، وسافر إلى مختلف النواحي في إيران وبلاد آرمنستان وآسيا الصغرى وحلب وطرابلس والشام وسوريا وفلسطين وجزيرة العرب ومصر والقيروان والنوبة والسودان. في السادس من جمادى الآخر ٤٣٧هـ سافر من "جوزجان" إلى "مكة"، وذهب إلى مرو، وفي شعبان من نفس العام ذهب إلى نيشابور، وعن طريق سمنان والري وقزوين أذربيجان وآسيا الصغرى والشام وفلسطين سافر إلى مكة. وبقى فترة في القاهرة ومنها سافر إلى مكة ثلاث مرات، وفي آخر سفره حج له عام ٤٤٢هـ. ق وصل إلى البصرة عن طريق الطائف واليمن، وفي عام ٤٤٣هـ وصل إلى أصفهان عن طريق أرجان، وفي عام ٤٤٤هـ في جمادى الآخر من نفس العام عاد إلى بلخ). في أثناء هذه الأسفار وحين وصل إلى مصر أقام فيها ما يقرب من ثلاث سنوات والتحق بخدمة الخليفة القاضي المستنصر بالله (٤٨٥-٤٨٧) عن طريق وساطة أحد الدعاة الفاطميين واعتنق مذهب الإسماعيلية وطريق الفاطميين وصار من المؤمنين لهذا المذهب، ووصل إلى مقام "حجة" بعد السير في مدارج "الباطنية"، وذلك بعد مراتب: "مستجيب" ،"ومأذون" ،و"داعي" وصار واحدًا من الحجج الاثني عشر الفاطميين، في اثنى عشر جزيرة لنشر الدعوة يعني صار حجة جزيرة خراسان وقد سلمه المستنصر بالله الإمام الفاطمي في ذلك الوقت

مهمة دعوة الناس على طريق الإسماعيلية وأخذ البيعة من الناس للخليفة الفاطمي في خراسان والإشراف على الشيعة في خراسان، فأرسل إلى خراسان ونزل في دياره بلخ وركن إلى الزهد والعبادة. وأرسل الدعاة المأذونين إلى أكناف خراسان حتى يقوموا بدعوة الناس إلى مذهب الشيعة الإسماعيلية. وقد أصر على عقد حوارات مع أهل السنة مما أدى في النهاية إلى فراره من بلخ مدة اقامته في بلخ غير معلومة على وجه الدقة ومن المسلم به انه في اثناء دخوله بلخ يعني عام ٤٤٠هـ كان عمره خمسين عامًا وكان فراره من بلخ قبل ٤٥٣هـ[١].

٢- فراره من بلخ:

كان فراره من بلخ أو نفيه نتيجة تعصبه الذي ظهر منه عند ترويجه لمذهب الإسماعيلية، مع الأخذ في الاعتبار أن أهل خراسان في ذلك الوقت كانوا أعداء أشداء للشيعة بصفة عامة والشيعة السبعية الفاطمية على وجه الخصوص. يمكن التخمين لو أن ناصر خسرو الحكيم قد أفلت من مخالب متعصبي بلخ فقد كان ذلك بفضل علمه وحكمته، ويقال أنه قبل فراره من بلخ كان يعيش متخفيًا في تلك الديار وبعد ذلك توارى لمدة ما. ولناصر خسرو في أشعاره إشارة إلى هذا الاختفاء والتواري. عمومًا حين فر من بلخ وحسب قوله "ذهب إلى مازندران(من المحتمل بسبب أنه رأى أمراء جرجان وطبرستان من الشيعة ولهذا توجه لهم) ويشير في هذا البيت إلى هذه المعجزة (انظر لغت نامه ص١٩٥٩٨، جلد١٣).

[١] انظر: دهخد، لغت نامه، جاب أول از دوره جديد، بائيز ١٣٧٣هـ ش، جلد سيزدهم ص١٩٥٩٨

مدة إقامته في مازندران وكذلك المدينة التي اقام فيها غير معلومتين تماما وحسب رواية دولتشاه ذهب من مازندران إلى نيشابور، وبعد ذلك على أثر حبه لخراسان وأيضًا للبقاء في أمان من أذى أهل السنة توجه إلى قلعة "يمكان" الواقعة في أقصى "بدخشان" حيث كانت مدينة حصينة في وسط الجبل وبسبب صعوبة مسالكها لم يكن لأحد القدرة على فتحها[١].

٣- ناصر خسرو في "يمكان":

أقام ناصر خسرو في يمكان حيث قام فيها بنشر دعوته وإبلاغ رسالته، تاريخ دخوله "يمكان" غير معلوم على وجه الدقة لكن يبدو من أشعاره أنه أمضى السنوات الأخيرة من عمره في هذا الملجأ وأقام فيها أكثر من ١٥عامًا، وعلى أثر إقامته الطويلة ودعوته المذهبية في "يمكان" اعتنق جماعة من أهل بدخشان مذهب الإسماعيلية وحتى ذلك الوقت أيضًا كان الاسماعيليين موجودين في بدخشان والنواحي المجاورة لها و"خوقند" و"فراتكين" والبلاد الأخرى في تلك النواحي. عمومًا فإن الحكيم ناصر ناصر خسرو الهارب أمضى السنوات الأخيرة من عمره بعيدًا عن الأصحاب والديار يعاني هموم الغربة في "يمكان" منحصرًا مهمومًا، وتقريبًا كان يشير في أغلب الأشعار التي نظمها في هذه الفترة إلى اضطراب أحواله وألم الغربة والبعد عن بلخ وتعصب الأعداء لأنه في هذا الوقت كان الناس قد ثاروا عليه، وابتداء من الخليفة العباسي في بغداد وخان الترك في كاشغر حتى أمير خراسان وملك سجستان وأمير ختلان كانوا يعدونه عدوًا، وكان الفقهاء السنة واتباع العباسيين وعامة الناس يصفونه بالرافضي والقرمطي والمعتزلي وكانوا يلعنونه على المنابر، وفي

[١] لغت نامه دهخدا

خراسان كان كل الناس أعداءه، فكان يشكو في شعره من عداوة الخراسانيين ولاسيما بلخ، ورغم كل شوقه لزيارة خراسان لم يستطع العودة إلى المدينة وإلى دياره خوفًا من المتعصبين، وفي النهاية توفي في "يمكان"، وهناك أقوال مختلفة في تاريخ وفاته: سجلها حاجي خليفة في كشف الظنون "٣٤٣هـ" وفي تقديم التواريخ ٤٨١هـ، ومن المسلم به أن ناصر خسرو عاش عمرًا طويلًا وقد تجاوز عمره ٦٢ عامًا، كتب "حمد الله المستوفي القزويني" في تاريخ كَزيده أن عمره اقترب من المائة، وقبره في "يمكان" أو"يمكان" بضم الياء[١].

ثانياً: حيرة ناصر خسرو بين مذهبين الشيعي والسني:

ذكرنا فيما سبق كيف نشأ ناصر خسرو في جو مضطرب سياسيًا، وقد التحق بخدمة السلطانين الغزنويين محمود ثم ابنه مسعود، فقد نشأ نشأة سنية وبدأ حياته في بلاط حماة السنة وقتذاك. وتبدلت الأحوال السياسية ونجح السلاجقة في القضاء على معظم الدويلات الشرقية، فالتحق ناصر بخدمة جغري بك السلجوقي حاكم خراسان، وكان كسائر الناس في ذلك العصر حائرًا في المذهب الحق الذي ينبغي له أن يتبعه أيكون شيعيًا أم سنيًا، فإذا وفق إلى أن يختار بينهما واختار الشيعة فأي فرقة من فرقها الشيعية العديدة يتبع؟ والشيعة الفاطمية لا يفطر لدعاتها نشاط، وهم يشككون الناس في أمر المذهب. والسلاطين من أهل السنة، والغزنويين ثم السلاجقة، يضربون بشدة على أيدي الفاطميين ويغالون في اضطهاد من يشتبه فيه أنه شيعي، وعلماء الدين يتلقون الأسئلة من جمهرة الشعب الحائر ويحاولون أن يهدئوا من نفوسهم وأن يوحدوا فيما بينهم

[١] لغت نامه دهخدا

فلا يصلون في ذلك إلى شئ. فمثلًا يذهب المقدسي وهو يصف إقليم خراسان إلى أن بهذا الإقليم يهود ونصارى ومجوس وأولاد علي وخوارج ومعتزلة وشيعة وكرامية والغلبة في الإقليم لأصحاب أبي حنيفة، فضلًا عن الشافعية وأقوام يقال لهم "بيض الثياب" مذاهبهم تقارب الزندقة، وأقوام على مذهب عبد الله السرخسي لهم زهد وتقرب[١]، ورغم أن رجال الدين وأهل السنة كانوا يحرصون على إبقاء عامة الشعب بعيدين عن الدخول في المتشابهات من آيات القرآن وأحكام الدين المترتبة على تفسيرها حرصًا منهم على أن يقيم المسلم أركان الإسلام الخمسة ولكن الرجل المثقف مثل ناصر خسرو الذي يقرأ آراء الفرق الكثيرة في مختلف المسائل كن حائرًا حقًا، وكان ناصر خسرو والذي شغل منصبًا كبيرًا في الدولتين الغزونية والسلجوقية واسع الاطلاع يقرأ الفلسفة ويناقش آراء الفارابي وابن سينا، وقد نظر حوله فوجد هذا الخلاف قائمًا بين الفرق الإسلامية التي كثرت في هذا العصر فحاول أن يصل إلى الحقيقة فسلك في ذلك من الطرق ما استطاع سلوكه. رجع إلى القرآن وكتب الحديث ورجع إلى التوراة والإنجيل وكتب مذاهب الهنود بلغاتها الأصلية، وأطال النظر في الأفستا والزند واتصل بعلماء الأديان، مسلمين ونصارى ويهود وهنود ومجوس، وناقشهم في المسائل التي لم يهتد إلى رأي فيها، فلم يظفر بمن يقنعه. ورأى أن يرحل إلى بلاد العرب وفارس وتركستان والهند لعله يجد من يهديه إلى الطريق الحق لمعرفة الله، ولكنه مع هذا كله لم يصل إلى ما يريد. وكان نتيجة هذا الفشل في معرفة الحقيقة أن وقع فيما يقع فيه الفلاسفة والمفكرون من الشك الذي قد يصل إلى الإلحاد[٢]، يقول الشاعر ناصر خسرو[١]في هذا الشأن:

---

[١] انظر: المقدسي:أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٢٣، سفرنامه ترجمة ناصر خسرو، ص٩، ١٠

[٢] انظر: سفرنامه: ترجمة يحيى الخشاب، ص٩-١٤

برخاستم از جای و سفر پیش گرفتم – نز خانم یاد آمد و نز گلشن و منظر
از پارسی و تازی و از هند و از ترك – و ز سندی و رومی و زعبری همه یکسر
و ز فلسفی و مانوی و صابی و دهری– در خواستم این حاجت و پرسیدم بی مر

أي: نهضت من مكاني واعتزمت السفر، دون أن برد على ذهني امرأة ولا روضة ولا منظر خلاب.

بحثت عن ضالتي دون حصر لدى الفارسي والعربي والهندي والتركي والسندي والرومي والعبري جمعاء

واستقبلت الفلسفي والمانوي والصابئ والدهري دون أن يلبي طلبي أحد وفي موضع آخر يقول[٢]:

پرسنده همی رفتم ازین شهر بدان شهر – جوینده همی گشتم ازین بحر بدان بر

أي: مضيت سائلًا من هذه المدينة لتلك المدينة باحثًا ومفتشًا من هذا البحر إلى ذاك البر.

(ناصر خسرو : ديوان ص١٧٤)

وظهرت آثار هذه الفترة في شعره، وقد كان شاعرًا من أعظم شعراء الفرس، وانتهز خصومه فرصة الشك هذه وأخذوه ببعض أبيات قالها تنم عن الحيرة وقد تصل إلى الكفر. ومن هنا اختلف رأي الكتاب الفرس فيه، فبعضهم يأخذه بهذه الأبيات ويرميه بالكفر، وبعضهم يصفهم بالتقوى

---

[١] ناصر خسرو؛ ديوان، تصحيح سيد نصر الله تقوى، مقدمة آقاي تقي زاده، طهران ١٣٤٨هـ ش، ص١٧٤

[٢] نفس المرجع السابق

ويصل نسبه "بعلي" ويجعله حكيمًا من حكماء المسلمين، غير أن فترة الشك هذه لم تطل على كل حال، فهو يفضل أن يرتحل إلى مصر حيث نظمت الدعاية للمذهب الفاطمي تنظيمًا دقيقًا لعله يجد فيها ما تصبو إليه نفسه من معرفة الحقيقة، فإنه قد سمع من دعاة مصر في خراسان وفارس من يتحدث عن مذهب جديد يختلف عن الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية، كما عرف أن من هؤلاء الدعاة من يستمع إلى أسئلة المتحير ويجيبه عليه، وإنه ليحب أن يسأل لماذا وكيف، وأن يجاب عما يسأل جوابًا يشفي غلته فليعزم إذن على الرحيل. وجدير بالذكر أن ناصر خسرو كان قبل سفره إلى مصر كان في هذه الحالة النفسية، حال الضال يبحث عن الهدى والسبيل إلى الحق ويضل التفكير والتأمل أخذ ناصر يشرب الخمر شهرًا كاملًا حتى إذا كانت ذات ليلة رأى في المنام رجلًا ينهره لأنه يدمن على الشراب فيناقشه ناصر ويدافع عن مسلكه وحجته في ذلك أن الفيلسوف الحائر يجد في الخمر ما يخفف من همومه، وحجة صاحبه أن التسرية عن النفس لا تكون بفقدان الشعور، وأن الفيلسوف لا يستطيع أن يكون هاديًا للناس وهو فاقد الوعي، وإنما على الفيلسوف أن يبحث عما يزيد العقل والحكمة. ويسأل ناصر محدثه عن السبيل لهذه الزيادة فيشير المحدث إلى القبلة قائلًا: من جد وجد. ثم ينصرف عنه، ويصحو ناصر من نومه، ويمثل الرؤيا كأنها حقيقة فيفيق من الخمر ويقول لنفسه إن عليه أن يفيق من غفلة أربعين عامًا كما فاق من سبات البارحة. ويعتزم الرحلة إلى مكة، إلى القبلة التي أشار إليها محدثه، فينصرف إلى مرو ويطلب إعفاءه من الوظيفة، ويعزم على الحج وكان ذلك في جمادى الآخرة (١٠٤٧) في نفس العام الذي سافر فيه المؤيد إلى مصر[١]. وثمة أقوال تذهب إلى القول بأنه ليس من المسلم به تشيع

[١] ديوان (ناصر خسرو)، ص١٧٤

ناصر خسرو كذلك ليس من المسلم به أنه وصل إلى الفاطميين في مصر قبل سن الرابعة والأربعين، واعتنق مذهب الإسماعيلية، وليس من المستبعد أنه قبل ذلك كان سنيًا مثل أهالي بلخ وخراسان الآخرين لأن هناك إشارات كثيرة في ديوانه إلى شعوره بالتيه في فترة شبابه، لكن بعد السفر إلى مصر اعتنق الباطنية الإسماعيلية وآمن بالخلفاء الفاطميين في مصر، وكما هو مذكور فقد وصل في المذهب إلى درجة عالية وصار "حجة" بلاد خراسان، وقام بالدعوة لمذهبه الجديد، وقد خلف المذهب الجديد في أشعاره أثارًا كثيرة، منها مدح آل علي، واللعن الصريح للخلفاء الثلاثة وبني أمية وبني العباس وأئمة المذاهب السنية الأربعة، حيث كان يسميهم "ناصبي" ويشكل عام اللعن الصريح في كل أصحاب المذاهب الإسلامية، ماعدا فرق السبيعية الباطنية[١].

وفي أحد أبيات ديوانه يصرح ناصر خسرو[٢] بأنه من شيعة حيدر دون ذكر المذهب الإسماعيلي:

أي: نحن المكافحون في جيش الشريعة والقرآن، لأننا من شيعة حيدر الفارس الكرار

ثالثاً: إنتاج الشاعر ناصر خسرو الأديب والفيلسوف:

لناصر خسرو مؤلفات شعرية ونثرية من أعماله الشعرية:

١- ديوان أشعار يشتمل على أكثر من عشرة ألاف بيت في القصيدة وعدة قطع وأبيات متفرقة في الحكمة والدين والأخلاق، كما يتضمن الديوان أشعارًا غرمية.

[١] انظر: سفرنامة: ترجمة يحيى الخشاب، ص٩-١٤

[٢] دهخدا: لغت نامة١٣-ديوان ناصر خسرو ص٢٦٨

٢- مثنوي "روشنائي نامة" ويشتمل على ٥٩٢ بيتًا في بحر الهزج، وهو في الوعظ والنصيحة والحكمة.

٣- سعادتنامه مثنوى يقع في ثلاثمائة بيت[١].

٤- رسالة في الإجابة على ٩١ سؤالًا فلسفيًا.

٥- سفر نامه أهم أثر منثور لناصر خسرو ويشتمل على شرح لما شاهده في رحلته التي استغرقت سبعة أعوام. وقد ترجمه ونشره المستشرق شيفر في باريس، عام ١٨٨١م[٢] وجدير بالذكر أن ناصر خسرو في هذا الكتاب قد وصف المجتمع المصري بأنه المجتمع المثالي ويحصى في أماكن متفرقة من هذا الكتاب الخصال الحسنة لشعبها ومنها الاستقامة والصداقة والعدل، ويقول في أحد المواضع: "أهل مصر حين يقومون بالبيع يلتزمون بالصدق ولو كذب أحدهم على المشتري يضعونه على جمل ويعلقون جرسًا في يده حتى يطوف في المدينة ويحرك الجرس ويرفع صوته قائلًا: لقد كذبت وأستحق اللوم وكل من يكذب يكون جزاؤه الظلم[٣]. "قد اقتضت طبيعة مضمون كتاب سفرنامة أن يتميز أسلوبه بالسهولة وخلوه من الصناعات اللفظية المعقدة والكلمات المهجورة[٤].

---

[١] جلال الدين همايي، ص١٢١.

[٢] براون تاريخ الأدب في إيران، ج٢، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، القاهرة، ١٩٤٥م، ص٢٥٨، ٢٦٠.

[٣] محمود بشيري (دكتر): مجلة دانشكده ادبيات فارسي وزبانهاي خارجي –دانشكاه علامة طباطبائي –تهران –شماره سوم –سال دوم، بهار ١٣٧٧هـ ش، ص١٦٦.

انظر أيضًا: سفرنامه ناصر خسرو علوي، مقدمة غني زاده، برلين ١٣٤١ ربيع الثاني ص٧٦

[٤] انظر: مهدي درخشان: ياد نامه ناصر خسرو، مقالة بعنوان: سبك نثر ناصر خسرو در سفرنامه، ص١٩٧

٦- زاد المسافرين ويشتمل على أصول العقائد الفلسفية لناصر خسرو وقد ألفه في الغربة عام ٤٥٣هـ.

٧- كتاب "كَشتايش ورهايش" "الفتح والتحرر" وهو رسالة منثورة كتبها ناصر خسرو فى الرد على ثلاثين سؤالًا مذهبيًا.

٨- "خوان الإخوان" كتاب آخر لناصر خسرو قام الدكتور يحي الخشاب بطبعها في القاهرة عام ١٣٥٩م. وجدير بالذكر أن هناك شك في انتساب هذا الكتاب لناصر خسرو[١].

وجه الدين "وهذا الكتاب في التأويلات وباطن العبادات على طريق المذهب الإسماعيلي وهو من الآثار النثرية المذهبية لناصر خسرو والذي كتب غالبًا بعد عام ٤٥٣هـ[٢].

١٠- "جامع الحكمتين" من الكتب المنثورة لناصر خسرو وقد وضع هذا الكتاب في شرح قصيدة خواجة أبو الهيثم أحمد بن حسن الجرجاني وبناء على رغبة عين الدولة عالي بن أسد بن حارث أمير "بدخشان" عام ٤٢٦هـ، وقد استخدم لإثبات أصول عقائد الإسماعيلية أسس علم الكلام والفلسفة. وهناك مؤلفات أخرى منسوبة لناصر خسرو[٣].

١١- المستوفي في الفقه وتفسير القرآن وغيره[٤]

---

[١] للمزيد؛ انظر: آ.ى.برتلس: ناصر خسرو واسماعيليان، ترجمة آرين بور، تهران ١٤٣٦هـ ش، ص١٩١٧ –لغت نامه دهخدا

[٢] جلال الدين همايي، ص١٢١

[٣] ذبيح الله صفا (دكتر): تاريخ ادبيات در ايران، ج٢، ص٤٥٤-٤٥٦

[٤] جلال الدين همايي ص١٢١

رابعاً: أسلوب الأديب ناصر خسرو

يذكر د/ذبيح الله صفا في نقد أعمال ناصر خسرو وأسلوبه، قوله: "لاشك في أن ناصر خسرو من الشعراء الفرس المتمكنين الفصحاء ويتميز بموهبة قوية ولغة رصينة وأسلوب نادر و"تقترب لغة هذا الشاعر من اللغة الشعرية في نهاية العصر السامانى، ويشير أسلوب كلامه إلى أنه أقدم بكثير من كلام شعراء الفترة الأولى من العصر الغزنوي، وقد استخدم في ديوانه الكثير من الكلمات والتركيبات على النحو الذي كان متداولًا في أواخر القرن الرابع الهجري، وجدير بالذكر في هذا الصدد أن عامل الزمان لم يتمكن من التأثير في هذا الشاعر القدير والمتمكن، مع هذا فإن ناصر خسرو كان يستخدم —حيثما اقتضى الأمر– التركيبات العربية الجديدة والكلمات العربية الكثيرة أكثر مما كانت تستخدم في أواخر العصر السامانى في الأشعار، وأوردها في أشعاره المتألقة[١].

خامساً: الخاصية الرئيسة لشعر ناصر خسرو:

الخاصية الرئيسية لشعر ناصر خسرو (هي) اشتمال هذا الشعر على المواعظ والحكم الكثيرة، وقد اقتفى ناصر خسرو بالطبع في هذا الأمر الشاعر "كسائي المروزي[٢]" الذي سبقه في هذا المجال. وبعد أن تغير حال ناصر خسرو واعتنق المذهب الإسماعيلي وأصبح مسئولًا عن الدعوة لهذا

---

[١] تاريخ ادبيات در ايران، ج٢، ص٤٥٦

[٢] كسائي مروزي أبو الحسن: أو أبو إسحاق من شعراء القرن الرابع الهجري، كان معاصرًا لأواخر العصر السامانى وأوائل الغزنوي، وكان مشتهرًا بالمح ومدح السلطان محمود الغزنوي، ووجدت بعض مدائحه في كتب التذاكر، لكنه استهجن هذا العمل في أواخر عمره، انظر، محد معين فرهنك فارسي جلد٦، أعلام انتشارات أمير كبير —جاب نهم تهران ١٣٧٥ش، ص١٥٧٦.

المذهب في خراسان، فاهتم ناصر خسرو في شعره بترويج الدين وتشجيع الناس عليه[١]، حقق لأشعاره أساسًا جديدًا ألا وهو الأفكار المذهبية، وقد أدى الجانب الدعوي للشاعر إلى أنه عند بيان أفكاره المذهبية لا يبعد عن نظره –كواحد من الدعاة– مهمة الدعوة، ولهذا السبب تشبه بعض قصائده من خلال المقدمات التي عمل فيها الشاعر تمهيدً ومن خلال النتائج التي استخلصها "غالبًا الكلام الذي ذكره أحد الدعاة في مجلس الدعوة. عند بيان المسائل المتعلقة بالحكمة لم يمتنع ناصر خسرو عن ذكر المصطلحات المختلفة، وجدير بالذكر أن الموضوعات العلمية في أشعاره لم تخلق المضامين الشعرية لديه بل باتت وسيلة لتفهيم مقصودة وهدفه، يعني قد طرح في شعره المسائل الفلسفية المهمة التي كانت عادة موضع بحث ومناقشة، وكان يستخلص النتائج من موضوعه في اللغة الصعبة للشعر بغاية المهارة واليسر. وقد أدى الذهن العلمي للشاعر على أن يقع بشدة تحت تأثير طريقة علماء المنطق عند التعبير عن مقاصده، واللافت أن أقواله وأشعاره امتلأت من خلال القياسات والأدلة المنطقية بالاستنتاجات العقلية، ومن ثم يخلو شعره من الانفعالات الشعرية والأخيلة الدقيقة للشعراء. لا يهتم ناصر خسرو أساسًا بما يجذب الشعراء الآخرين يعني لا يهتم بمظاهر الجمال وبالجوانب الخادعة في البيئة ولا يهتم بالأشخاص، فقصائده عمومًا خالية من الغزل والتشبيب[٢] ذلك أن نظره يتجه أكثر للحقائق العلمية والأسس والمعتقدات الدينية، لهذا السبب كان يستخدم الأوصاف الطبيعية عند الدخول في الموضوعات العقلية والمذهبية باعتبارها تشبيبًا ليس إلا، مع هذا لا ينبغي التقليل من قدرة ناصر خسرو على

[١] سيرويس شميسا سبك شناسي شعر، انتشارات فردوسي جاب نهم، تهران ١٣٨٢ش، ص٣٥٧

[٢] زين العابدين مؤتمن: تحول شعر فارسي، انتشارات طهوري، جاب جهارم، تهران ١٣٧١ش، ص١٥٣

وصف الطبيعة والتعبير عنها، ولا ينبغي أن نغفل عن قدرته هذه، فالأوصاف التي قدمها عن الفصول والليل والسماء والنجوم، نادرة بين أشعار الشعراء الفرس. وينبغي أن نذكر أن أهم أمر يجذب النظر في شعر ناصر خسرو من حيث التعبير عن العواطف –غير العواطف الدينية– هو بيان التأثر الشديد الذي يصيب الشاعر من سوء تصرفات المعاصرين وتعصبهم وسطحيتهم وعدم اهتمامهم بالحق والحقيقة. ناصر خسرو ليس شاعر بلاط، وإن كان في وقت ما كان شاعر بلاط إلا أنه لم يصلنا أثر لأشعاره في هذا المجال. وهو من أقدم الشعراء الذين نظموا مثنويات كاملة في الحكم والمواعظ، وغني عن البيان أن قصائده أيضًا ليست بعيدة عن هذا المجال[1]. ومن بين الأمور التي جذبت نظر الشاعر ناصر خسرو الاختلاف الفاحش بين الطبقات الاجتماعية والأفراد الذين يعانون من الحرمان والفقر في مجتمعه. في العصر الذي كان يعيش فيه ناصر خسرو كان هناك طبقة ثرية تتمتع بكل النعم وتعيش في رغد العيش وطبقة أخرى معدمة، وهو كشاعر ملتزم لم ير الصمت إزاء هذه الفجوة الطبقية أمرًا مناسبًا ومن ثم انطلق لسانه بالشعر معترضًا على مثل هذا الوضع.

سادساً: أنماط تأثر ناصر الدين خسرو باللغة العربية من خلال النصوص الدينية:

لقد تعددت أنماط تأثر ناصر الدين خسرو باللغة العربية من خلال النصوص الدينية كالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الإمام علي رضي الله عنه وأرضاه وغير ذلك، وليس هناك

[1] بر رسي افكار سياسي –انتقادي ناصر خسرو، ص١٦٧، انظر ايضًا: على دشتي: تصويري از ناصر خسرو، تهران، جاويدان، ١٣٦٢هـ ش، ص١٢٤

مصداق للغة العربية أعظم من القرآن الكريم فلقد قال المولى عز وجل: {**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**} [الزخرف؛٣]، يليه الأحاديث النبوية الشريفة.

ولقد استخلص الباحث هذه الأنماط من خلال أحد المراجع الفارسية المهمة في هذا الصدد[١] وجدير بالذكر أنه من الظواهر الأدبية في عصر ناصر خسرو وغيره من العصور التي أثرت الشعر الفارسي ثراء واسعًا التأثر باللغة العربية ولاسيما من خلال النصوص الدينية. لقد وضع ناصر خسرو الشعر في خدمة الدعوة الدينية[٢] واستخدمه كأداة لترويج مذهبه. ويعد تزيين الشعر بالآيات القرآنية من خلال الاقتباس من القرآن الكريم أسلوبًا مقبولًا فضلًا عن أنه يبدي نوعًا من أنواع تقديس القرآن والاعتراف الضمني بأنه حق لاريب فيه، وقد لاقى هذا التزيين ترحيبًا أيضًا من كثير من الفقهاء، ومع هذا فإن بعض العلماء والفقهاء ولاسيما المالكية كان يعد هذا الاقتباس انتهاكًا لقدسية القرآن ويراه أمرًا محرمًا. إن التأثر بالقرآن الكريم والحديث في ثنايا الشعر يكون أحيانًا واضحًا وأحيانًا أخرى غير ظاهر. فمثلًا بالنظر في البيت التالي للشاعر ناصر خسرو:

خلق همه يكسره نهال خدايند ـــ هيچ نه بركن تو زين نهال و نه بشكن

أي: الخلق كلهم من بدايتهم إلى نهايتهم غصن الله، فلا تقتلع أبدًا هذا الغصن ولا تكسره.

---

[١] سيد محمد راستكو: تجلي قرآن وحديث در شعر فارسي، تهران ١٣٨٩هـ ش، ص١٥-٨٩

[٢] انظر أيضًا: محمد جعفر محجوب (دكتر): سبك خراساني در شعر فارسي، انتشرات فردوس وجامي، تهران ١٣٤٥هـ ش، ص٤٠

بالنظر في هذا البيت نلاحظ التأثر الخفي للشاعر ناصر خسرو بقوله تعالى: {**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا**} [نوح؛١٧]: وبالفارسية: خدا شمارا از زمين رويانيد جونان كياهي. يعد تأثر الشاعر ناصر خسرو بالآية القرآنية الكريمة المذكورة في البيت السابق خفيًا، حيث أورد الشاعر المضمون القرآني في بيته، كما يمكن القول أيضًا إنه وضع أساس كلامه الشعري على أساس الآية المذكورة وذلك دون أن يشير إلى استفادته منها. وفيما يتعلق بأنماط تأثر الشعراء الفرس بالنصوص الدينية يمكن القول إن استفادة هؤلاء الشعراء من هذه النصوص شأنها شأن الاستفادة من كل الظواهر الأدبية الأخرى تأخذ كما ذكرنا من قبل ضروبًا عديدة ومختلفة، فمن ناحية ظهور التأثر ووضوحه أو اختفائه وأيضًا من الناحيتين البلاغية والفنية نجد أن طرق الاستفادة من هذه النصوص ليست على مستوى واحد، فمثلًا قد يكون استخدام النص الديني في الشعر واضحًا بحيث يدركه بسهولة وسرعة كل من كان لديه معرفة ولو قليلة بالنص الديني المستخدم في الشعر[١] وعلى العكس قد يكون هذا الاستخدام للنص الديني غير واضح بل خفي بحيث لا يدركه من كان غير عارف بهذا النص إلا إذا أطال البحث فيه. كما أن استفادة الشعراء من الاقتباس القرآني يكون أحيانًا فنيًا وإبداعيًا وجميلًا بينما يكون أحيانًا أخرى تقليديًا وغير جذاب. وفيما يلي أنماط التأثر بالنصوص الدينية ولاسيما القرآن في شعر ناصر خسرو.

[١] انظر: بديع الزمان فروزانفر: احاديث مثنوي، انتشارات أمير كبير، تهران، ١٣٥٠هـ- ش، ص٣١

النمط الأول: اثربذيري وازكَاني (التأثر بالكلمة "الأثر اللفظي")

في هذا النمط يتأثر الشاعر بالكلمات والعبارات القرآنية أو الكلمات والعبارات التي وردت في الأحاديث الدينية فيستخدمها في شعره مع ملاحظة أن هذه الكلمات والعبارات يكون لها جذور قرآنية أو دينية بصفة عامة، كما تكون هذه الكلمات والعبارات قد شقت طريقها إلى اللغة والأدب الفارسي من خلال الشاعر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ولو –لا قدر الله– لم يكن القرآن الكريم والأحاديث الدينية موجودين لصارت اللغة والأدب الفارسي بلا نصيب أيضًا من هذه الكلمات والعبارات بشكلها واستخدامها العام بما تضمنته من معنى إسلامي خاص بها. وبناء على هذا يمكن القول إن للثقافة الإسلامية بما لديها من نبعيها الفياضين أي القرآن الكريم والحديث لها حق عظيم في إثراء اللغة الفارسية وزيادة ثروتها اللغوية وذلك إلى جانب ما لها من فضل عظيم وحق كبير في رقبة الثقافة الإيرانية، وقد كان الشاعر ناصر خسرو أحد المساهمين في إبراز ذلك الأمر من خلال أشعاره. وجدير بالذكر في هذا الصدد أن هذه الكلمات والتركيبات المشار إليها لم ترد بنفسها في النصوص الدينية كالقرآن الكريم بل بنيت على أساس مضامين بعض الآيات والأحاديث والقصص القرآني أو القصص ذات الصلة بالأحاديث الدينية؛ بعبارة أخرى تم التوصل لهذه الكلمات والعبارات عن طريق بعض الآيات والأحاديث الدينية. وقد كان للشاعر ناصر خسرو نصيب في شعره من هذا النمط من خلال ما يعرف في الفارسية بـ: "برآيندسازي" أي: تصنيع المنتج. مثال: يقول الشاعر ناصر خسرو:

يكى روزنامه ست مر كارها را ــ كه آن را جهاندار دادار داند

أي: توجد صحيفة (أعمال) للأعمال، يعلمها رب العالمين العادل الحكيم.

في البيت المذكور أفاد الشاعر ناصر خسرو من قوله تعالى: {**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**}. [الانفطار ١٠-١٢] ومن قوله تعالى: {**"وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا**}. [الإسراء ١٤] ففي البيت المذكور استخدم ناصر خسرو كلمة: "روزنامة" في إشارة إلى صحيفة الأعمال الخاصة بكل إنسان.

مثال آخر: يقول ناصر خسرو في أحد أبياته:

مگر لشكرگه غلمان خلدند ـــ سرادق شان زده ديباى اخضر

أي: لعل أفراد المعسكر غلمان الخلد، سرادقهم من الحرير الأخضر.

النمط الثاني: اثرپذيرى گزاره أي (التأثر بالعبارة)

في هذا النمط يتأثر الشاعر بالجملة، وينقسم هذا النمط إلى قسمين:

١- الاقتباس والتضمين (اقتباس وتضمين)، وفي هذا القسم يضع الشاعر في شعره عبارة قرآنية أو جملة قرآنية كاملة أو غير كاملة بنفس بنيتها العربية بدون أي تغيير أو مع قليل من التغيير الذي لا مهرب منه أمام قيود الوزن والقافية. ويتم استخدام هذه الطريقة لأسباب عديدة نذكر

منهـا: التبرك والتيمن والتوضيح والتبيين والتعليل والتوجيه والتشبيه والتمثيل والتحذير والتحريض والتزيين والتجميل والاستشهاد وإظهار الفضل والعلم والفن...الخ. مثال:

چه خطر دارد این پلید نبید ـــــ عند کأس مزاجها کافور

أي: ما قيمة (خطورة) هذا النبيذ النجس، أمام كأس كان مزاجها كافورا

لقد اقتبس الشاعر في البيت السابق جزءًا من الآية: "إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كـــافورا" (الـــدهر؛٥) وبالفارســـية: (ابرار از جامی آمیخته به کافور می نوشند) .

٢- التحليل (حل- تحليل): رأينا أنه عند التضمين والاقتباس يضطر الشاعر أحيانًا من أجل الحفاظ على الوزن والقافية أن يغير من البنية الأصلية للآية أو الحديث وأن يمد يده بالتغيير في بنيتها قليلًا؛ لكن الجدير بالذكر أن قيود الوزن والقافية من ناحية والرغبة في الاقتباس من ناحية أخرى يدفعان الشاعر إلى إحداث تغيير أكبر وذلك من أجل تزيين كلامه باقتباس من الآية أو الحديث وكثيرًا ما يفكك بنيتها الأصلية. والشاعر؛ من ناحية كان وجدانه مفعمًا بالقرآن الكريم والحديث أما روحه فقد كانت معنية بهما؛ ومن ناحية ثانية كانت حافظته عميقة جدًا ومن ناحية ثالثة فقد سيطر العشق والولع والجنون على روحه حتى أصبح شعره غالبًا حاصل حالة من اللاوعي وغياب الذهن، ومن ثم حين يفتح فمه لنظم الشعر تصب حافظته على لسانه الآيات والأحاديث الكثيرة التي تموج في بحر ذاكرته بينما يفسح الشاعر لهذه الأمواج العارمة مكانًا في البرك الصغيرة

للمصراع والبيت كما يفسح لهذه الأمواج مكانًا في قنوات الوزن والقافية وهي قنوات ضيقة كان قد عانى منها كثيرًا وبث شكواه منها وكم رغب في تحطيمها، ويبدو أن هذه الأمواج الهادرة جدًا حين تنصب في قنوات ضيقة لا تستطيع أن تحمي هيئتها وبالتالي تتعرض حتمًا لضرر التغيير. مثال؛ يقول ناصر خسرو:

مكن هرگز بدو فعلی اضافت گر خرد داری

بجز ابداع يك مبدع كلمح العين أو أدنى

أي: لا تنسب إليه سبحانه وتعالى أبدًا –إن كنت عاقلًا– أي فعل سوى إبداع البديع في لمح العين أو أدنى.

واضح أن العبارة التي أحدث فيها ناصر خسرو تغييرًا هي: "كلمح العين أو أدنى" إذ أن أصل العبارة القرآنية "كلمح البصر أو هو أقرب" (سورة الأعراف؛ ٩٣). وهكذا يرى الباحث أن ما أجبر الشاعر على تغيير بنية العبارة القرآنية (هو) قيود الوزن والقافية من جانب وضيقهما امام الامواج الهاردة مما يحفظ من ايات القران والاحاديث الدينية من جانب آخر، وقد يرى البعض أن هذا النوع من الاستخدام لمضمون الآية القرآنية يتعارض مع صحيح الدين وينتهك البنية الأصلية للآية القرآنية بالتحريف في النص القرآني. كما يرى الباحث أن ذلك الأمر يتعلق بالشعر العمودي أكثر من الشعر الحر وبالتالي تكون الفرصة أمام الشاعر المعاصر أكبر لاستخدام البنية الأصلية للآية القرآنية دون تغيير وذلك حين ينظم الشعر الحر.

النمط الثالث: **اثربذيري كَزارشي (التأثر بالشرح والتفسير) وهو نوعان**:

أ– الترجمة (ترجمة)[1] في هذا القسم يترجم الشاعر مضمون آية أو حديث ديني بطريقتين أو يقوم بتفسير مضمون الآية باللغة الفارسية، أحيانًا بطريقة نقل القول ومن خلال ذكر اسم القائل وأحيانًا دون أن يذكر اسم القائل أي على لسانه. فيما يتعلق بالترجمة فإن ترجمة الآية أو الحديث إلى الفارسية تكون مثل كل ترجمة أخرى؛ أحيانًا حرفية (بسته وباي خوان وتحت اللفظ) وأحيانًا حرة ومفتوحة (آزاد وباز). في الترجمة الحرفية تكون الترجمة الفارسية متساوية في المعنى والمضمون مع الأصل العربي، وتكون متفقة أحيانًا في البنية البيانية مع الأصل العربي. طبقًا لهذه الطريقة ترتدي ترجمة المعنى القرآني للآية أو شرح الحديث ثوبًا فارسيًا وذلك دون أن تتغير البنية البيانية للآية أو الحديث كثيرًا ودون أن يتغير المعنى والمضمون لهما. مثال؛ يقول ناصر خسرو في بيت له:

قيمت هر كس به قدر علم اوست – اينچنين گفته است امير المؤمنين

أي: إن قيمة كل شخص بقدر علمه، هكذا قال أمير المؤمنين (رضي الله عنه) في هذا البيت ذكر الشاعر ناصر خسرو اسم القائل وقدم ترجمة حرفية لكلام الإمام علي رضي الله عنه الذي قال: قيمة كل امرء ما يعلم (غرر الحكم٤/٥٠٢).

كما يقول ناصر خسرو في بيت آخر له:

اين گور تو چنان كه رسول خداى گفت ــ يا روضه بهشت است يا كنده سعير

[1] عن فن الترجمة انظر: جلال الدين همايي: فنون بلاغت وصناعات ادبي، مؤسسة نشر هما، ١٣٧٨هـ ش، ص٣٧٤

أي: إن قبرك هذا –كما قال رسول الله– إما روضة (من رياض) الجنة أو حفرة من النار.

في البيت المذكور ترجمة حرفية لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار (الجامع الصغير؛ ٣٦٧/١).

ويقول ناصر خسرو أيضًا:

بهشت كافر و زندان مؤمن ـــ جهان است اى به دنيا گشته مفتون

أي: أيها المفتون بالدنيا: الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن. **ب– التفسير**.للاطلاع على هذا القسم انظر (تجلي قرآن وحديث در شعر فارسي،٤٣)

النمط الرابع: **اثربذيري الهامي– بنيادي (التأثر عن طريق الاستلهام)**

في هذا النمط يستلهم الشاعر أساس بيته الشعري من آية أو حديث، ويؤسس هذا البيت على النقطة التي استلهمها، وينظمه بحيث يرى العارفون أن هذه النقطة ذات صلة بإحدى الآيات أو الأحاديث، على أن الصلة تكون أحيانًا ظاهرة جدًا لدرجة أن الشعر يظهر في شكل ترجمة لمعنى إحدى الآيات، وفي أحيان أخرى تكون هذه الصلة غامضة جدًا بحيث يختفي الدليل على وجود تأثر ما.

مثال، يقول ناصر خسرو:

گرچت يك بار زاده اند بيابى ـــ عالم ديگر اگر دوباره بزايى

أي: وأن كنت (أنت) قد ولدت مرة، إلا أنك ستجد العالم الآخر لو ولدت ثانية.

البيت المذكور مؤسس على كلام السيد المسيح عليه السلام: لن يلج ملكوت السماوات من لم يولد مرتين.

وفي بيت آخر يقول ناصر خسرو:

برآنچه داری در دست شادمانه مباش

وز آنچه از کف تو رفت از آن دریغ مخور

أي: لا تفرح بما في يدك ولا تغتم على ما ضاع من يدك.

البيت المذكور مؤسس على الآية الكريمة: **{لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}** سورة (الحديد) آية "٢٣"

النمط الخامس: **اثر بذيري تصويري (التأثر بالصور والأخيلة)**

في هذا النمط يقترض الشاعر صور شعره من القرآن والحديث. والمقصود بالتصوير الإبداعي أن يكتب الشاعر بقلم الخيال على صفحة الكلام وينتج عن ذلك ما يسمى في لغة الأدب بالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والتجسيد والتشخيص وبصفة عامة الصور الخيالية. بناء على هذا ينظم الشاعر التشبيه والاستعارة أو المجاز الذي ورد في آية ما أو حديث ما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في نفس المجال أو في مجال آخر، أو يجعل شعره يدور حول محور تلك الصورة؛ فمثلًا يجعل الموضوع القرآني في حالة مشبه به. مثال؛ يقول ناصر خسرو:

وبال است بر مرد عمر درازش – چو عمر درازش فزود اندر آزش

أي: العمر الطويل وبال على الرجل، لأن عمره الطويل يؤدي إلى زيادة في الحرص (على جمع المال).

نلاحظ أن الصورة الشعرية في هذا البيت يمكن أن تكون مأخوذة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: يهرم ابن آدم ويشب فيه خصلتان: الحرص على المال والحرص على العمر. (ميزان الحكمة؛ ٢٩/١٠). وفي موضع آخر يقول يقول ناصر خسرو:

به چه ماند جهان مگر به سراب – سپس او چون روی به شتاب

أي: ماذا تشبه الدنيا سوى السراب فكيف تجري وراءها بسرعة.

في البيت المذكور يشبه الشاعر ناصر خسرو الدنيا بالسراب وقد ورد في النص الديني: الدنيا غرور حائل وسراب زائل؛ إنما الدنيا متاع أيام قلائل ثم تزول كما يزول السراب وتقشع كما يقشع السحاب (غرر الحكم؛ ١٢١/٢)

ويقول أيضًا:

ای خردمند چه تازی سپس سفله جهان – همچو تشنه سپس خشك و فریبنده سراب

أي: أيها العاقل لماذا تجري وراء الدنيا السافلة، مثل العطشان وراء السراب الجاف والخادع.

ويقول أيضًا:

ای پسر مشغول این دنیا ست خلق – چون به مرداری است مشغول این کلاب

أي: أيها الابن الخلق مشغولون بهذه الدنيا، كما تنشغل هذه الكلاب بالجيفة.

هذه الصورة مأخوذة من قول الإمام علي رضي الله عنه: إنما أهل الدنيا كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها بعضًا ويأكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها. (غرر الحكم؛ ٨١/٤) وأيضًا القول: إنما الدنيا جيفة والمتؤاخون عليها أشباه كلاب فلا تمنعهم أخوتهم من التهارش عليها. (غرر الحكم؛ ٨٠/٣)

الخاتمة

انتهى الأمر بناصر خسرو بعد حيرته المذهبية إلى اختيار المذهب الشيعي الإسماعيلي واعتناقه والدعوة له عن إيمان كامل به، لدرجة أنه كان يعتقد أن المجتمع المثالي بالنسبة له هو ذلك المجتمع الذي يعتنق المذهب الشيعي الإسماعيلي، ذلك المذهب المؤسس من وجهة نظره على العقل كما يرى أن الإنسان المثالي هو من كان من أولاد النبي ومن كان "سيدًا" من الأصل العلوي وهو في شعر ناصر خسرو، المستنصر بالله، الخليفة الفاطمي في مصر. وثمة بيت شعري في ديوانه –أشرنا إليه سابقًا– يشير إلى اعتناقه المذهب الشيعي الذي ينتمي لحيدر الكرار المقدام عليه السلام، دون تحديد المذهب الإسماعيلي بعينه.

إن للثقافة الإسلامية بما لديها من نبعيها الفياضين أي القرآن الكريم والحديث لها حق عظيم في إثراء اللغة الفارسية وزيادة ثروتها اللغوية وذلك إلى جانب ما لها من فضل عظيم وحق كبير في رقبة الثقافة الإيرانية، وقد كان الشاعر ناصر خسرو أحد المساهمين في إبراز ذلك الأمر من خلال أشعاره.

هكذا يرى الباحث أن الشاعر كان يقتبس من الآيات القرآنية بما يخدم قضاياه في شعره ويمثل مرتكزًا لأفكاره العقائدية، ولا يمثل انتهاكًا أو عدوانًا على حرمة الآيات والعبارات القرآنية، وإلا كان الشاعر قد غادر دائرة الإيمان بفعله هذا، وهذا ما يدحض القول القائل بأنه كان يغير بنية الآية القرآنية للضرورة الشعرية.

المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العربية

١- المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.

٢- يحيى الخشاب (دكتور): رحلة ناصر خسرو- سفرنامة، مطبوعات البنك العربي الدولي.

ثانياً: باللغة الفارسية

١- آ.ى . برتلس: ناصر خسرو و اسماعيليان ، ترجمه آرين بور ، تهران ١٤٣٦ هـ ش

٢- بديع الزمان فروزانفر : احاديث مثنوى ، انتشارات امير كبير ، تهران ،١٣٥٠

٣- براون :تاريخ الادب في إيران ، ج٢، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى ، القاهرة ، ١٩٤٥م

٤- جلال الدين همايى : تاريخ ادبيات ايران ، مؤسسه نشر هما ، چاب اول ، تهران ١٣٧٥ ش

٥- جلال الدين همايى : فنون بلاغت و صناعات ادبى ، مؤسسه نشر هما، ١٣٧٨ هـ ش

٦- دهخدا ، لغت نامه ، چاب اول از دوره جديد ، بائيز ١٣٧٣ هـ ش، جلد سيزدهم

٧- ذبيح الله صفا (دكتر): تاريخ ادبيات در ايران ، ج٢

٨ - رضا زاده شفق : تاريخ الادب الفارسي، ترجمة : محمد موسى هنداوى ، دار الفكر العربى القاهرة، ١٩٤٧م .

٩- زين العابدين مؤتمن : تحول شعر فارسى ، انتشارات طهورى ، چاب چهارم تهران ١٣٧١ش.

١٠- سيد محمد راستگو : تجلى قرآن وحديث در شعر فارسى ، تهران ١٣٨٩ هـ ش.

١١- سيروس شميسا سبك شناسى شعر ، انتشارات فردوسى چاب نهم ، تهران ١٣٨٢ش .

١٢-على اصغر حلبى: تأثير قرآن وحديث درادبيات فارسى،انتشارات اساطير١٣٧٧ ش .

١٣- على دشتى: تصويرى از ناصر خسرو ، تهران ، جاويد ، ١٦٣٢ هـ ش.

١٤- محمد جعفر محجوب: سبك خراسانى در شعر فارسى ، انتشارات فردوس و جامى ، تهران ١٣٤٥ هـ ش .

١٥-محمد دبير سياقى : سفرنامه ناصر خسرو قبادياني ، تهران ، زوار ، ١٣٥٦هـ ش .

١٦ - محمد معين فرهنك فارسى جلد ٦ ، اعلام انتشارات امير كبير _ چاب نهم - تهران ١٣٧٥ش .

١٧- محمود بيشترى: مجله دانشكده ادبيات فارسى و زبانهاى خارجى - دانشگاه علامه طباطبايى ، تهران ، شماره سوم ، سال دوم ، بهار ١٣٧٧هـ ـ ش

١٨- مهدى درخشان : يادنامه ناصر خسرو ، مقاله : سبك نثر ناصر خسرو در سفر نامه

١٩- مير خواند : روضة الصفا ، تهران ١٣٩٩ هـ ش ، ج٤

٢٠ -ناصر خسرو ؛ ديوان ، تصحيح سيد نصر الله تقوى ،مقدمه آقاى تقى زاده ، طهران ١٣٤٨ هـ ش .

٢١- ناصر خسرو: سفرنامه ، مقدمه غنى زاده ، برلين ١٣٤١ .